من شعراء هَجَر المبدعين .. صادق بن موسى السماعيل

هو صادق بن موسى السماعيل أو (دقيانوس) كما أطلق على نفسه ، وكما كان يوقّع تعليقاته ومقالاته وأشعاره في شبكات الإنترنت ، شاعر وكاتب ، من مواليد مدينة الهفوف بالأحساء عام 1394هـ، خرّيج معهد الإدارة العامة تخصص دراسات مالية ، ويعمل موظفًا بالشئون الصحية ، بدأ محاولاته الشعرية في سن مبكرة ، له بصمة خاصة في الشعر الضاحك ، له حضور بارز في منتديات الإنترنت بقصائده وتحقيقاته الطريفة، نشر العديد من قصائده في الصحف وشارك في العديد من الأمسيات الشعرية والمحافل الولائية ، وترجمنا له في (معجم شعراء منتدى الينابيع الهَجرية) الصادر عام 1434هـ ، عضو بالمنتدى منذ عام 1426هـ ، ويرأس اللجنة الإعلامية فيه .

إنه من الرجال الذين صَفَت نفوسهم ، وأراحوا قلوبهم من الغلّ والحسد والنوايا السيئة ، فلا تنطوي حناياه إلا على الخير والمحبة ، ولا يصدر منه إلا الوفاء والإيثار.

أتذكّر أنه خرج شبه غاضبٍ من أول زيارة للمنتدى ، برفقة الأستاذ يحيى العبداللطيف والأستاذ عبدالله الهميلي، لأنه ظنّ أن بعض شعراء المنتدى الذين يرونه ويسمعون منه لأول مرة لم يتفاعلوا التفاعل اللائق بما أتحفَنا به تلك الليلة من كتاباته الساخرة عن العسو وعن الطبينة وأشياء أخرى ، والواقع أنهم لشدة إعجابهم واندهاشهم بما سمعوه منه أفرطوا في التفاعل مع هذا النوع من الأدب الحيوي، ورفعوا الكلفة معه من أول لقاء بتعليقاتهم الجريئة وضحكاتهم العالية ، ولكنه سرعان ما تفهّم ذلك الموقف وزال اللبس وَصَفت النفس وعاد إلى المنتدى وهو يتأبط الكثير من تلك الكتابات التي تفرّد بها وأبدع فيها.

هكذا نبسمل مع الأستاذ صادق قبل الشروع في تلاوة ما يتيسر لنا من زبور تجلياته ، إنه يعلمنا هنا كيفية الوضوء لصلاة الشعر وأن ذلك الوضوء لا يتطلب غير شيء من الخشوع والاستسلام فقط ، فلا طهر أنقى بعد الاغتسال ببَرَدِهِ المحموم و لوثته البيضاء

هو الشعر لا تذبح بمديتكَ الشعرَا

هو السحر لا تبطل (بعصيانك) السحرا

هـــو الـحـيـلـة الأنـــقـى صـــفـاءً ورقّـــةً

هـو الـبـَرَدُ الـمحموم و الـدهشة الكبرى

هـــو الـلـوثـة الـبـيضاء لا طُـهـر بـعـدها

وإن رحـــت تـسـتجدي الـبـراءة والـطهر

ولم أكن أتوقع أن تكون أول صفحة في زبور (دقيانوس) غير سورة الأحساء معشوقة الينابيع والضياء والطيب والنخل الطاعن في التباريح :

أحبك في لحظ المعاني عروسةً

مـكـلـلـةً ورداً مـجـلـلـةً حُـسـنـا

أحـبك تـاريخاً مِن الخِصب والنّـَما

وطـيـناً زكَـاهُ الماءُ ما سئِم العجنا

لأرويـــكِ لـلأجـيال مـــاءً و نـخـلـةً

وكـيف عـليك الـظل منذئذٍ أثنى

ولكنه سرعان ما يلتفت إلى ما آل إليه حالُ تلك الجنان التي كانت تجري من تحتها الأنهار ، ليذرف دمعة عند كل نخلة تقف حائرة تسأل عن الجداول التي اغتالها الظمأ ، وعن الخمائل التي عصفت بها رياح الجفاء و النكران :

أتـــدريـن أنـــي واقـــفٌ واهـــنُ الـقـوى

فـــلا واهـــنٌ مـثـلي ولا واقـــفٌ غـيـري

أتـــدريـــن أنـــي كـــنـت أحـــلـم أنْ أرى

خـــمـائـلـك الـــخـضـراء تـــهـتـز لـلـطـيـر

تـقـايضتِ فـي بَـخسٍ مـع الـدهر شُـحّـَهُ

فـأبـدل مـنـك الـمـمرعَ الـخصبَ بـالـقفر

فـــيـا حـــبـّـة الـرمـل الـتـي قـــد تـرمـّـلت

بـسُـقم الـنخيل الـشّـُم ذات الـعطا الـثـّر

ألا فـــاطـربـيـنـي بـــالـحـديـث نـــدامـــةً

عن الـياسمين الـرطْب و الـسوسن الـبري

وعـــن صـافـنات الـخيل تـستبق الـمدى

وعـــن أنـهـُـر الـسـلسال طـافحةً تـجري

وهل لـلشاعر منجى وملجأً غير لغته يلوذ به عندما يكظه الوجد و تخنقه الـتباريح :

فـــيـــا لـــغـــةً راقـــت وشـــفّـــت حـــروفُـــهـــا

هـــبـــيـــني الـــكـــلامَ الـــعـــذب من قـــبـــل أنْ أعـــرى

لـــتـــنـــبـــجـــس الأشـــــواقُ أنـــهـــارَ فـــتـــنـــةٍ

من الـــســـوســـنـــات الـــحـــمـــر و الـــقـــضُـــبِ الـــخـــضـــرا

فـــأنـــت الـــبـــدايـــات الـــقـــصـــيّـــة والـــمـــدى

وقـــبـــلـــتـــي الأولـــى و تـــســـبـــيـــحـــتـــي الـــعـــذرا

أنـــا الـــهـــائـــم الـــمـــكـــدود فـــي الـــحـــب قـــلـــبُـــهُ

أهـــش عـــلـــى الآمـــال إنْ عـــاقـــهـــا الـــمـــســـرى

فـــهـــلاّ ســـألـــتِ الـــنـــجـــم عـــن ســـرّ قـــُربـــه

وعـــن لـــيـــلـــة الإســـرا و مـــا لـــيـــلـــة الإســـرا ؟

وكغيره من شعراء (هَجَر) يختلط عليك الأمر عندما تقرأ غزله وحنينه ، أإلى حبيبةٍ تشح عليه بوصل ؟ أم إلى أمه الأحساء ذات العشرين ربيعاً رغم ولادة الأزل عند قدس أعتابها :

وبـــدأتِـــنِـــي أزلاً تـــجـــاوزَ مـــبـــدأَهْ

وخـــتـــمتِـــنِـــي بـــحـــرًا تـــنـــكّـــبَ مـــرفـــأَه

لـــم يـــبـــقَ مِـــن ذكـــراكِ غـــيـــرُ ســـجـــائـــرٍ

وشـتـاءُ كـانونٍ وهـذي الـمدفأة

وقـصاصةٌ عبث السكونُ بحرفها

كـانـت بـبـيت الـعنكبوتِ مُـخبّأة

أنا بالهوى ثملٌ يُراقص ضحكتي

خـــالٌ وريـــقٌ لا يـبـوح و تـأتـأة

وزجـاجـةٌ مـجـنـونـة رقـراقـة

بـالـحب والـولـه الـقـديم مـعبّأة

سـأظل أُطـلِق لـلجمال حـمائمًا

مادام في عُمْر البنفسج منسأة

وللأعمار التي تتقصّف كالمرايا قبل أن تكتمل صورنا فيها نصيب في (زبور دقيانوس) ، يتفقد أمكنة الراحلين في قلوب عشاقهم و مريديهم ، فيرقرق دموعه هناك حيث محاريب الأسى و معارج النشيج . فوقفة على ضريح فقيد الشباب الدكتور صادق العمران مثلا

هـــكـــذا ا للـعـنـاقيد شـــاءَهْ

كَرمةً في الجنان تحكي اصطفاءَهْ

هــكـذا اخــتــاره ُ انــبــثــاقة عــطــرٍ

فــي وقــار و خـشـعةٍ و انـحـنـاءَهْ

هـكذا انـساب في الـقلوب شفيفا

يـــا لـــذاك الـنـقا و تـلـك الـبـراءَة

وفي غمرة فقدٍ آخر ، يقف الأستاذ صادق مؤبنا (سفير الحسين عليه السلام) و زعيم الحوزة العلمية السيد محمد علي بن السيد هاشم العلي رحمه ا :

رحـلـتمْ ولــم نـحـفظِ (الـمُـستهلّ)

ومـــا الـــتـمّ صـــفّ ُ الـعـزا و اكـتـملْ

ولـــم نـوسـعِ الـصـدرَ لـطـمًا ولـــم

نـــخُـــضْ بـالـقـصـيدة بـــحـرَ الـــرّمَـل

رحـــلـتـم إلـــــى ربـــــوةٍ قـــد رَبَـــتْ

وضعن الشجى في الحشا ما ارتحل

فـــيـــا ســـيـدًا فـــي بـُـــراق الـــعـزاء

إلـــى ســـدرة الـمُـنتهى قـــد وصـــل

رأيـــــتُ الـحـسـيـنَ بـــــه كـوكـبًـا

و لـــــلآن فـــي نـــاظـري مـــا أفَـــلْ

ولـفـلسفة الحياة و الموت و للركض وراء أمنياتٍ لا تجيء يقف شاعرنا برهة :

ها نحن نمشي و الطريق طويل

والـلـيـل داجٍ والـــسـراة قـلـيـل

ها نحن نستاف المشاعر شعلةً

إنْ ظـل عـن ضـوء الـنجوم دليل

لا سـقف فـي هذا الظلام يظلنا

إلا ســـكـــونٌ بـــــاردٌ و غـــلـيـل

ورغم برودة ذلك السكون و مرارة غليله تتفتح بين الفينة والأخرى بيننا بعض المطارحات الاخوانية التي تروّح عن قلوبنا تارة ، و تغسل بعض شجونها تارة أخرى ، منها هذه الأبيات التي أهديتها للأخ صادق عام 1427هـ :

تـــرنّـمُ صـــادقٌ وشـــدَا وأنـشَـدْ

فترجم صادقًا عن حُسْن مقصَدْ

وكـنـتُ عـرفـتُه شـهـمًا حـليمًا

كـريـمًـا بـاسِـطًـا لـلـنفس والـيَـدْ

وكـــنـتُ خَـبـرتُـهُ حـتـى تـجـلّـى

وصـــدقُ صـفـاته عـنـدي تـأكّـدْ

إذا رام الـــبـيـانَ لـــه تـداعـى

كـيـانُ الـشـعر مـنظومًـا مُـنضّدْ

وأسـفـرتِ الـمعاني الـغُـرّ عـمّـا

تـخـبـّـِئُ مـن لآلـئَ أو زبـرجـدْ

فَـصَـبّـَ لـنا الـكؤوس مشعشعاتٍ

ألـذّ مِـن الـلمى الـصافي وأبردْ

فـيا مَـن تـعشق الـقدحَ الـمُـعَـلّـى

لـقـد وفّـى لـها مـا كـان أوعـدْ

فـعُـبّـَ الـيـوم مـن خـمرٍ حـلالٍ

كـما تـهوَى وصـلّـِ عـلى مـحمدْ

بقي الحديث عن وفاء هذا الرجل لمنتدى الينابيع و تفانيه و جهوده في خدمة أهداف المنتدى اختصرته في هذين البيتين اللذين بعثتهما إليه ذات شجن :

بــوركتَ مِــن رجــلٍ يظل وفاؤهُ

بَــردَ الــسرور لــقلبيَ المحزونِ

لــو كــان مــثلك لــي ثلاثة إخوةٍ

لحكمتُ روعةَ رُبْعِها المسكون

هذه نماذج مقتضبة من ديوان الأستاذ صادق الذي ننتظر أن يرى النور قريبا ، أُلفت بها نظر النقاد و عشاق الأدب الرفيع لهذا الشاعر المتواضع إلى حد إنكار الذات والجميل إلى حد أن الينابيع أصبحت كلها في ركب عشاقه و مريديه .